"الإنجيل الذي نكرز به"

مرقس١٦: ١٥

"وَقَالَ لَهُمُ: اذْهَبُوا إِلَى الْعَالَمِ أَجْمَعَ وَاكْرِزُوا بِالإِنْجِيلِ لِلْخَلِيقَةِ كُلِّهَا"

القس فريد عودة

عن مجلة ((النشرة)) التي تصدر عن
السينودس الإنجيلي المشيخي الوطني في سوريا ولبنان

هناك سؤالٌ أساسي يقضّ عقول كل الذين يخدمون المسيح في كنيسته اليوم؛ سؤال نفضّل أن لا نُسْأَلَهُ، لأنه يزعجنا ويقلقنا؛ لكنه من الأهمية بحيث لا يجوز إغفاله. إذا كان ما يقوله الكتاب المقدّس صحيحاً، لماذا لا تُفلحُ المسيحيّة أكثر؟ لماذا لم تعد المسيحيّة مؤثرّة ومجدّدةً في المسرح الإنساني؟ لماذا نجد أنفسنا كجماعة إيمان محشورين دائماً بين الاستسلام أو الهزيمة؟ لماذا لم تعد الكنيسة اليوم ملتهبةً بالإيمان، متحرّرة من الانقسامات، مستعرة بالاندفاعة الكرازية؟

عندنا الكتاب... مليء بأروع وأبهى الوعود وعود ختمت عليها يدُ الله القدير، وتحمل ضمانة الربّ يسوع الشخصيّة: "والله قادر أن يزيدكم كلَّ نعمة" (٢كو٩:٨)؛ "كلّ وطاء يرتفع. وكلّ جبلٍ وأكمةٍ ينخفض، ويصير المعوجّ مستقيماً والعراقيب سهلاً... لأن فمَ الربّ تكلّم"(متى٤:٤ و٥)؛ "فكم بالحري الآب الذي في السماء يعطي الروح القدس للذين يسألونه" (لو ١١:١٣): "لأن كل شيء مستطاع عند الله" (لو١٠: ٢٧).

لماذا هذا الفرق الشاسع بين الوعود والحقيقة... كما هو جليّ في الكنيسة وفي العالم وفي حياتنا؟ عندنا الإنجيل، والأخبار السارة بأن كلَّ قوة الله وحكمته قد انفلتت في التاريخ الإنساني لتخلّص الإنسان، فانفجرت حناجر وصدور أجناد السماء في غياهب الزمان تملأ الأكوان بشراً وضياء: "المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرّة"(لو٢:١٤). فإذا كان هذا صحيحاً... أين السلام؟ وأين المسرة؟ وأين هو مجدُ الله؟ لماذا نرزح تحت ظلمة الدم والحديد والنار؟

عندنا المحبّة الأزلية وقد صارت جسداً باتضاع المذود، وانسحقت تحناناً في جلجثة، وانتصرت قدرةً وجلالاً في فجر القيامة... لماذا لا يظهر ذلك في حياتنا أولاً، ومن ثم في تأثيرنا على محيطنا وعالمنا؟ لماذا لا نرى نتائج هذا العمل الإلهي العجيب تتناسب والرجاء الإلهي الحي؟ هل ما نراه اليوم هو خلاص؟... أم ماذا؟

فلنرى...

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com

أولاً - ورطة المسيحية

لا نفتقر اليوم إلى أصوات تدّعي القدرة على تحليل الواقع المسيحي المريض ووصف العلاج له؛ في حين أن الآراء داخل الكنيسة تتفاوت، وأحياناً تتضارب، في تحديد الحاجة الضرورية لإنعاش الإيمان وإنهاض الكرازة.

هناك من يقول لنا إن الكنيسة بحاجة إلى إعادة صياغة لأسس إيمانها لتماشي لغة العصر، ومراجعة لعقيدتنا المسيحية لتوضيح موقعنا اللاهوتي.

نحن نتفهم منطق هذه الدعوة؛ فما عمله الله في الأزمنة السالفة والسابقة يجب أن يكون موضع تمحيص وتأمّل ودراسة كيما يتناغم والتقدّم المعرفي لكل جيل. بل أن أهمية الدفاع عن إيماننا تتعاظم مع كل جيل، حيث تزداد الفلسفات المشكّكة والإيدلوجيات المثبّطة. من المهمّ جداً أن نُظهر للعالم بأن الإيمان المسيحي فكرياً وروحياً متماسكٌ، ويعرض الأساس العقيدي الأسمى عن الخليقة؛ كما أنه بين كل البدائل المطروحة يقدّم التفسير الأكثر منطقيّة عن الكون. لذلك أرى أن الأوان قد حان ليتخلّى المسيحيون عن موقف المدافعين والمُحْرَجين في هذا المجال، وينقلون الحرب إلى المعسكر المقابل. إن أفضل استراتيجيّة حين يهاجم المشكّكون إيماننا المسيحي ويصفونه بالسذاجة، ويصفوننا بأتباع الخرافات أن نعكس الانتباه إلى سذاجتهم هم وتفاهة شكوكهم. منذ وقت ليس بقصير أومأ أحد رجال الله العظام إلى أن الشكوكيين يعانون حرجاً منطقياً أكثر جداً مما يواجهه أصحاب الإيمان.

هذا التوضيح لموقفنا الإيماني بلغة مفهومة ومقبولة هو شأنٌ مهمٌ جداً، جديرٌ بأن نكرّس له جهدنا وفكرنا؛ لكنه ليس الحاجة الأهمّ. في الواقع، نحن اليوم نواجه خطر المبالغة في عقلنة الإيمان، لدرجة أن صخب المدارس اللاهوتية المتنافسة أحياناً المتناحرة يكاد يخنق صوت السكون الخفيف... صوتَ الله (١مل١٩: ١٢)، كذاك اللاهوتي الذي وقف كلَّ وقته وجهده على برهان وجود الله حتى أنه انشغل بذلك عن قراءة الكتاب المقدّس والصلاة!! كان بلعامُ رجلاً ذكياً ونقياً، وكان الله يكلّمه ويكلّم هو الله؛ لكن كل هذا لم يكن كافياً لأن يرى بلعام ملاك الربّ، بينما رآهُ الحمار (العدد ٢٢). كم من لاهوتيين غزيرين في عطائهم الفكري، هم عقيمون في ثمرهم الروحي! عرفت حركة الإصلاح الإنجيلي لاهوتيين كباراً افتقروا إلى اختبار لوثر الروحي وعلاقته الحميمية مع الله المتجسّد؛ ضيّقوا آفاق إيمان لوثر الحيّ وعقلنوه فيما عُرف بعدئذٍ بالمذهب البروتستانتي العقلاني Protestant Scholasticism؛ وفي كلّ جيلٍ لاحق كان هذا الخطرُ يعاود الظهور؛ لكنّ الكتاب يعلّمنا أن "سر الربّ لخائفيه" (مز٢٥: ١٣). مازال قلب الطفل جوازَ سفر إلى ملكوت الله أفضل وأضمن من كل الجهبذه الدينية والفلسفية، "لأن الربَّ سامعٌ للمساكين" (مز٦٩: ٣٣).

ويطلع علينا آخرون بتشخيص مختلف: يقولون، ليست حاجتنا إلى إعادة صياغة "عقلانية" لإيماننا؛ ما نحتاجه هو النبرة الاجتماعية.. الإقرار بأن الإنجيل هو طاقة اجتماعية عَتَلَة لإصلاح المجتمع وإعادة

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com

توضيب مدنيتنا. أظن أنّه يجدر بنا أن نُعير هذه الدعوة انتباهنا، فما هي بصوتٍ صارخٍ في بريّة... إنها دعوة بل دعوات تتسابق الكنائس اليوم في إشهارها وتبنّيها. اسمحوا لي أن أذكرّكم ببعض المواضيع التي شغلت الكنيسة بُعيد الحرب العالمية الثانية منتصف القرن الماضي، الواحد تلو الآخر، والسبّحة ما زالت تكرّ. كانت هناك أوّلاً الشيوعية... انشغلت الكنيسة أكثر من ثمانين سنة في طرح شعار "مناهضة الشيوعية" كعقيدة هدّامة معادية للإنسانية، في نفس الوقت الذي كان فيه جزء كبير من الكنيسة يناصر النازيّة! كما تزامن هذان التطوران مع انبعاث الأمم الصغيرة وحروب الاستقلال.

قادت انشغالاتُ الكنيسة هذه الشعبَ المسيحي إلى طرحٍ مطلبين رئيسيين: من ناحية، وجدت الكنيسة نفسها أمام مطالبة شعبها لها بتوضيح العقيدة "نريد عقيدة متينة تُطَمْئِنُنا وسْطَ هياج الشيوعيةُ والرأسمالية والنازية والوطنيّة والأيدلوجيات المتصادمة. نريد أن نعرفَ أينَ نقف". ومن ناحية ثانية كانت الكنيسة مقتنعة بأن عليها أن تلازم بين الإيمان والحياة؛ الحياة بمعنى السياسة والاقتصاد والاجتماع، وكل شيء آخر: نحن المسيحيين يجب أن نتفوّق على الشيوعية في محبتنا للجماهير واهتمامنا بهم جسداً ونفساً(الفكر العبادة المعتقد التعبير المواطنة الضمير)، لا روحاً فقط؛ لا يجوز أن نخلي المكان لأصحاب الأيدلوجيات ليسبقونا إلى خدمة البشر!

هذا كله مهم جداً؛ لا يمكن لديانة تحمل اسم المسيح أن تنأى بنفسها عن الحميّة الاجتماعية وإصلاح العالم. لا يليق بإيمان يحمل اسم يسوع أن لا يقبل إمكانية بل حتمية الاضطهاد من أجل ترجمة الإيمان بأبوية الله وأخويّة الإنسان إلى عمل حسّي ثوري مسيحي حاسم، يزحف وطيداً ليشفي منكسري القلوب، وينادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر، ويرسل المنسحقين في الحرية الحريات الأربع ويقيم عدل الله المقبول. أليس هذا ما يعلّمنا إياه كتابنا العزيز؟ يقول بكل وضوح: "الإيمان بدون أعمال ميت"، (يع٢:٢٦)؛ بمرارة يصرخ: "أنت لا تحبّ أخاك الذي تبصرُه" (١يو٤:٢٠)؛ "بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا" (متى ٢٥:٤٥). مزعجة هذه الكلمات في بساطتها ووضوحها... ليتها تحتمل التأويل! لكن، لا؛ لا مهربَ منها؛ لا مهرب من وضوحها وبساطتها... وقضائها. قال اللاهوتي المصلح، إميل برونر: "الكنيسة التي لا تنتج أعمالَ محبّة حيّة لكل شرائح المجتمع هي كنيسة مريضة مرضاً للموت".

اسمحوا لي؛ هنا أشعر لزاماً عليّ أن أضغط بكل عزمي على مكابح هذه العربة، لأقف وأتنفّس... وأحذّر. في هذا الحديث الحلو الجميل تكمن خطورة خبيثة متنكرّة، أشبه بملاك النور في ٢ كو ١١:١٤: خطورة أن نقيّم إيماننا المقدّس لا كقيمة كيانية جوهرية في حدّ ذاته بل كوسيلة لغاية، كمساهمة نحو هدف، هدف أهمّ من الإيمان عينه... فَيُسْتَغْمَضُ المسيحُ، الحقُّ المطلق. لم نعد نسمع لا تعليماً ولا وعظاً، يقول لنا: "عَيْنَا الرَّبِّ نَحْوَ الصِّدِّيقِينَ، وأذنَاهُ إلى صُراخهم. وجهُ الرَّبِّ ضِدُّ عَامِلي الشَّرِّ ليقطعَ مِنَ الأرض ذكرهُم. قريبٌ هوَ الرَّبُّ مِنَ المنكسري القلوب، ويخلّصُ المنسحقي الروح. كثيرةٌ هي بلايا الصديق، ومن

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com

جميعها يُنجّيه الرّبّ. يحفظ جميعَ عظامه. واحدٌ منهَا لا ينكسرُ. الشرّ يميتُ الشرير، ومبغضو الصّدّيق يُعاقبُون. الرَّبُّ فِي نُفُوس عبيده، وكلُّ من اتَّكل عَلَيْه لا يُعاقبُ "(مز ٣٤: ١٢ ١٦) هذا موضوع تطرّقنا إليه تحت بند "دعوى الكرازة" المقالة الرابعة؛ لذا فلن أتحدّث فيه أكثر، بل سأكتفي ببضعة أسطر من مذكرات الطيب الذّكر المطران ليسلي نوبجن، الذي خدم في كنائس جنوب الهند، قال: "تتعرض الكنيسة اليوم إلى خطر قاتل في أن تتحوّل إلى مؤسسة للخدمات الاجتماعية تُدار من مكاتب حديثة مجهزة بكل وسائل الرفاهية، بدل أن تكون عائلةَ الله المؤسسة على إيمان الرسل والأنبياء، وعلى شركة القديسين وكسر الخبز والصلاة. لا شك أن الكنيسة التي تستسلم لهذه التجربة ستدمّر شهادتها... وستقضي على تأثيرها في المجتمع".

ثانياً: العلاقة الحاسمة

ما هي، إذن، حاجتنا الأساسية؟

إذا لم تكن "إعادة صياغة عقلانية اجتماعية للمسيحية"، فماذا تكون؟! إنّها بكل بساطة إعادة اكتشاف للمسيحيّة كعلاقة صميميّة مع المسيح الحيّ.

ليس في الحياة من أمر أهمّ من هذا، أو يساويه في الجدّية. فكلّما تقدّم المرءُ في السنين، وكلّما تعمّق في التأمل والتفكير "بالورطة البشرية" (أنظر "أولاً")، كلّما اتّضح هذا له. إنني متأكّد أننا ملزمون اليوم بالمجاهرة بعالي الصوت بأنه إن رُمنا كمسيحيين أن ننمو في النعمة ونسري طريق الإيمان والرجاء والمحبّة، فإن هذا مشروط أساساً وأولويةً بأن تتفاعل حياتنا وتتناغم مع حياة الرب يسوع. فبدون هذا لن نصنع أيَّ تأثير في المجتمع العلماني، ولن نقدر على إيقاف انجرافه نحو الصّنَميّات، ولن نقوى على إنقاذ مدنيتنا أو تصويب عالمٍ متداعٍ. إن قلبَ المسيحية اللازب هو المسيح؛ وكل من يموضعه في أي مكانٍ آخر إنّما يُفسد المسيحيّة ويدمّرها.

أنا أدرك أن هذا بديهيّ؛ لكننا طالما دأبنا على قول هذا وعملنا العكس، فأصبحت كلماتنا فارغة لا تذر؛ ويبقى السؤال، هل استوعبت أذهانُ إيماننا هذه الحقيقة؟ إن المسيحية كما قال بارت لا يمكن أن تتحقّق، أو توجد، لحظة واحدة بدون المسيح! لقد أصغيتُ مراراً إلى "مسيحيين" يتداولون الحديث في ماهيّة المسيحيّة، أو على الأقلّ في ما ظنّوه هم مسيحية: ينتقدون، يُطرون، يدّعون كأن المسيحيّة ليست إلاّ خلاصة نصائح أخلاقية، أو إيديولوجيا سلوكية، أو فلسفة حياتية، أو تفاعل بعض الفضائل السامية.

نعم، إذا كان لنا نحن المسيحيين أن نواجه تحدّيات الإيديولوجيات المنتشرة بوفرة وقوة في العالم والتي تجتاح المجتمعات كالتسونامي، يجب أن نمتلك نحن إيديولوجيا أعظم وأسمى منها جميعاً... ونحن حقاً نمتلك ذلك. ينبغي أن نُدرك أن بحوزتنا شيئاً أكبرَ وأعظم، لا يعرفه أي إيمان آخر: عندنا ربّ حيّ، حاضرٌ كل حين ليلْهبَ قلوبنا، ليحبّنا ونحبّه إلى الأبد. كتب الدكتور جون ماكاي، رئيس جامعة برنستون عام ١٩٤٦: "إن المسيحي الممتلئ بالروح القدس لهو الندّ الخلاصي لكَريس الديانة السياسية. فالمؤمنون الذين

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل youth@arabicbible.com ar.arabicbible.com

لفحتهم ألسنة الروح القدس هم الندّ الحياتي لانفلات الذرّة والقضاء على الحياة. ليس كافيا أن أسمع كلمة الربّ وأطيعها؛ بل من الضروري أن تتجسّد كلمة الله بالمعنى الروحي في جسدي، فيتصوّر المسيح في، ويتجلّى في (غل٤:١٩) ... لا لِي فقط. وإذا ما وُجد محاججون لاهوتيون! يحاولون إنكارَ القداسة وتعرية البرّ الذي في المسيح فبئساً لهم ولمكانتهم جميعاً، كائناً من كانوا. ما تحتاجه الكنيسة اليوم لمواجهة الساعة إن كان للكنيسة أن تواجه الساعة هو مسيحيون هم فعلاً مسيحيونَ، فيهم تجلّت كل إمكانيات حياة الروح. لأن الحقيقة هي أن محْرق إيماننا المستعر ليس السؤال "ماذا تظنّون بهذه أو تلك من الإيديولوجيات" بل "ماذا تظنّون في المسيح؟" (متى ٢٢:٤٢). هذا هو بيت القصيد.

نحن اليوم بحاجة للتنبير على أنّ ما يصنع الإنسان المسيحي ليس كلوهيّةً ضبابية، ولا سلوكيّة ناموسية، ولا انتماءات كنسيّة... بل التصاق صميميّ بشخص يسوع الحيّ..

لا تُخمدوا نارَ حبٍّ
تأجّجت في الفؤادِ
لا تُطفئوا نورَ حقٍّ
يدعوكُمُ للجلادِ
بل اثبتوا في رجاءٍ
بالفوزِ بعدَ الجهادِ
وأعلنوا اسمَ يسوعٍ
مخلّصاً للعبادِ

جميع حقوق الطبع محفوظة للخدمة العربية للكرازة بالإنجيل